

الفوارق بين السنة والشيعية

أ.د. طه جابر العلواني

سألني سائل وألح في سؤاله واستحلفني أن أُجيب عن أهم الفروق بين السنة والشيعية وهل تستحق هذه الفروق أن يتقاتلوا حولها ويختلفوا ويسفكوا دمائهم ويقتلوا أنفسهم ويدمروا بلادهم ويستدعوا غير المسلمين لاحتلالها وتدميرها وإذلال حرائرها وأحرارها؟!، وقد بقيتُ أماطل محاولاً النأي بنفسي عن تناول هذا الموضوع ويبدو أن سلسلة مقالاتي حول الطائفية قد أغرته بأن يعيد الطلب ويزيد في الإلحاح وإني قد قررت أخيراً النزول على رغبته وتناول هذا الأمر بتسامح وموضوعية وحيادة لا يستطيع أحد أن يجاري فيها كبار علماء الأمة إلا من تتلمذ على تراثهم وما تركوا من آداب الاختلاف.

أما السنة والجماعة فهم طائفة من المسلمين وهذا المفهوم مركب من فرعين، ولكنهما من أهم وأخطر ما جرى تداوله من مفاهيم في علم الكلام والفرق والطبقات، وما إليها من المعارف الإسلامية، وهما «أهل السنة» و«الجماعة»، أمّا الأول «أهل السنة» فهو مركب من كلمتين: «أهل» وهي مضاف و«السنة» وهي مضاف إليه، أمّا الأولى «أهل» فهي من «أهل الرجل»، وهم كل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوزوا فيه فقبل على من يجمعهم وإياه نسب واحد. وتعارف جمهرة المسلمين على إطلاقه في أسرة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- فهم الذين يقال لهم «أهل البيت» مطلقاً في باب الفضائل. وفي باب الزكاة حصره جمهور الفقهاء في «بني هاشم وبني عبد المطلب». وفي باب الدعاء والصلاة على النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- جعلوه شاملاً لكل من آمن به ورضيه نبياً ورسولاً.

وخصته الشيعة بـ«أهل الكساء»¹، وخصه البعض بأزواجه فقط -صلى الله عليه وآله وسلم- نزولاً عند الذي يتبادر إلى الذهن عندما يُقال «أهل الرجل»، حيث يُفهم منه زوجه وأسرته في الاستعمال العربي؛ ولأنّ قوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:33) جاءت بعد بيان جملة من الأحكام الشرعيّة المتعلقة بأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولأنّ العرب تقول: "تأهل فلان"، تريد: تزوج. وقوله (تعالى) لنوح -عليه السلام- حين سأل الله (تعالى) إنقاذ ولده من الطوفان: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود:46)، فكأن لقب «أهل» يشتمل على الانتماء والتكافل المعنوي، إضافة إلى صلة الدم والرحم، وقوله (تعالى) لنوح أيضاً أمراً إياه بمن يحمل معه في السفينة: ﴿.. وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ..﴾ (هود:40). وفي المعنويات أيضاً يُقال: «فلان أهل لكل خير». وإضافة أهل إلى السنّة تعني أنّهم صاروا للسنّة النبويّة - من حيثيات مختلفة- بمثابة «الأهل» للإنسان، وقال القرآن المجيد في التقوى: ﴿.. وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةً التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ..﴾ (الفتح:26)، قال (تعالى): ﴿..هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (المدثر:56).

أمّا المضاف إليه «السنّة» فهو مفهوم تعدّد وتنوّع استعماله في اللغة وفي الاصطلاح، ففي اللغة تُطلق «السنّة» على السيرة والطريقة، حسنة كانت أو قبيحة، والسيرة والطريقة بمعنى في هذا الموضوع، يُقال: هذا في سير الأولين، كما يُقال: هذا في طريقتهم، وهناك لفظ ثالث في هذا المجال يقترّب منهما كثيراً، وهو «المذهب»، فالسيرة والطريقة والمذهب تكاد تتفق معانيها في هذا النوع من الاستعمال، وفي الحديث الشريف عن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أنّه قال: "مَنْ سَنَّ فِي

¹ أصل هذا التعبير مأخوذ من الحديث الوارد في مسند أحمد ونصه: عن عطاء بن أبي رباح قال: حدثني مرّة سمع أم سلمة تذكر أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في بيته، فأنته فاطمة بمرّة فيها خزيمة فدخلت بها عليه، فقال لها: ادعي زوجك وابنيك، قالت: فجاه علي والحسين والحسن، فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامة له على دكان تحته كساء له خيزري، قالت: وأنا أصلي في الحجرة فأنزل الله -عز وجل- هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:33)، قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير، إنك إلى خير. رواه أحمد عن أم سلمة في باقي مسند الأنصار، رقم: 25300، 25339، 25521.

الإسلام سنّة حسنة، فعمل بها بعده، كُتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء،
ومَنْ سنّ في الإسلام سنّة سيئة، فعمل بها بعده، كُتب له من الوزر مثل وزر مَنْ عمل بها، ولا ينقص من
أوزارهم شيء²، وهنا يُراد بقوله: «مَنْ سنّ» مَنْ ابتدأ عملاً وداوم عليه، وخصّ بعضهم لفظ "السنّة"
بالطريقة المحمودة فقط ملاحظة للاستعمال العربي «أهل السنّة» الذي سنأتي إلى بيانه.

أما في الاصطلاح، فقد استعملت «السنّة» في القرآن بالمعنى اللغوي نفسه «الطريقة» في
نحو قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُننَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ (النساء: 26)، فسن الذين من قبلنا طرائقهم الحميدة بقريظة: ﴿لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ﴾،
وبيانه (جلّ شأنه) وهدايته تنصرف إلى المحمود دائماً، وترد «السنّة» في القرآن كثيراً بمعنى القانون الكوني
والقانون الاجتماعي: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سنّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنّةِ اللَّهِ
تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: 43)؛ أي طريقته الحكيمة وعادته في إرسال الرسل، مبشرين ومنذرين؛ لتقوم بهم
الحجة على الناس في السنّة الثابتة، وهي إنزال العذاب والهلاك على الذين كذبوا رسل الله وأنكروا ما
جاءوا به، وقد لاحظنا في الحديث المتقدم استعمالها بمعنى «الطريقة»، وفي هذه الآية جاءت بمعنى
العادة، وفي كليهما نجد تلازماً مع معنى الدوام والاستمرار. وهناك معان أخرى كثيرة للسنّة،
واصطلاحات متنوعة فيها للفقهاء والأصوليين والمحدثين وعلماء الكلام والفرق والمذاهب، وقد استوعب
جلّها شيخنا عبد الغني عبد الخالق (رحمه الله) في كتابه المطبوع «حُجّية السنّة»، وأخذت ما يزيد عن
أربعين صفحة، يستطيع الراغبون في معرفة المزيد الاطلاع عليه³. أمّا الذي يُهمنا الوصول إليه -هنا-
وتقريره -في هذا الصدد- فهو المعنى الذي تعارف الناس عليه عندما يطلقون قولهم «أهل السنّة»، فهذا
الإطلاق برز لتمييز عامة المسلمين وجمهرتهم وسوادهم الأعظم عن الفرق التي نشأت بعد العقد الأول
من وفاة الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- حين برز «القدريّة» أولاً وهم «نفاة القدر» ثم قابلتهم

² صحيح مسلم. كتاب العلم. الحديث رقم 4830.

³ راجع كتاب شيخنا عبد الخالق، عبد الغني. حجة السنّة. هيرندن: فريجينا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1986، 598 ص.

«الجبرية»، ثم تمخّضت الفتنة الكبرى عن «الخوارج»، ثم «المرجئة»، فكان الناس إذا أردوا هذه الطوائف من المسلمين ذكروها بأسمائها، فإذا أردوا الإشارة إلى كل من عداهم قالوا: «أهل السنة» ليطمايز الناس، فيكون هناك «أهل البدعة»، على الناس أن يحذروا تقليدهم وتبني مقالاتهم، ويتعدوا عنهم، وينضموا إلى السواد الأعظم، الذين هم «أهل السنة». ولم تكن البدعة في بادئ الأمر تطلق على غير أهل القدر والاعتزال، فالتشيع كان قائمًا، لكنّه لم ينسب بادئ الأمر إلى البدعة، حتى ظهر «النواصب»، وقابلهم الغلاة الذين أطلق عليهم «الروافض»، بعد معركتي الجمل وصفين بدأ البعض يستعملها في مقابلة هذين الاتجاهين للغلاة في مناصبة آل البيت وخاصة أمير المؤمنين عليّ -رضي الله عنه- العدا وسبّه على المنابر، وقابل البعض ذلك بغلو مماثل في رفض جمهرة الصحابة عدا نفرًا لا يتجاوز أصابع اليدين، واتهام الصحابة عامة في دينهم، والتشكيك في سلامته، وصار الناس يدرجون هؤلاء مع القدرية والخوارج في مقابل «أهل السنة»، وحين ساد الجهل، ولم يعد الناس يدركون الفروق الدقيقة بين «النواصب» و«السنة» وبين «الرافضة» و«الشيعة» ساد ذلك العرف العامي الذي صار يطلق مفهوم «أهل السنة» في مقابل «الشيعة»، لكن إطلاقه التاريخي -ابتداءً- كان في مواجهة القدرية والخوارج ثم المعتزلة.

أما «الجماعة» فهي من الجمع: ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ (الكهف: 99)، وقال (تعالى): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ (التغابن: 9)، ويوم الجمع هو المراد بقوله (تعالى): ﴿ذَلِكَ يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَشْهُودٍ﴾ (هود: 103)، و«جماعة» تُقال للمجموع، مثل جمع وجميع. فَضُمُّ أَناسٍ مُتَّفَاوِتِينَ إِلَى كِيَانٍ أَوْ رَابِطَةٍ يُقَالُ لَهُ «جَمْعٌ وَجَمَاعٌ». وتُطلق على جمع الإنسان وجمع الآراء والأفكار، وقد اجتمعوا معًا في قوله (تعالى): ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ (يونس: 71)، ومنه كذلك قوله (تعالى): ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ (آل عمران: 173)، قيل: جمعوا آراءهم وتدابيرهم وجندهم وقواهم. وتُسمى يوم «الجمعة» بالجمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة، وكان في الجاهلية يُسمى «يوم العروبة».

ومنه كذلك «إجماع العلماء» دليل من الأدلة الأصولية، وفي السنة النبوية وردت أحاديث كثيرة في الأمر بشهود صلوات «الجمع والجماعات»، كما وردت في أحاديث كثيرة تنهى عن الفرقة والاختلاف وتأمّر بلزوم «الجماعة» عندها؛ أي عند الفرقة والاختلاف. لكن السنة النبوية نصّت على أنّ «الجماعة» لا تكون «جماعة» حسب المفهوم الشرعي الذي قصدته، فلا بد أن يكون لهم إمام، فاجتماع الناس وحده لا يكفي حتى يكون لهم إمام، فللجماعة -عند المتكلمين- دعامتان: الأولى: اجتماع الناس، والثانية: أن يكون هذا الاجتماع على إمام منهم، يُطبق الأحكام، ويجمع كلمة الأمة ويوحد بينها، أو يؤلف بين قلوبها، ويرعى مصالحها، ويحمي بيضة الأمة، ومن الأحاديث التي استندوا إليها حديث حذيفة -الذي رواه الجماعة كلهم- وفي آخره أنّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال له: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم"، قال النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-: "فاعتزل تلك الفرق -كلها- ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك"⁴. فلم يأمره بالتزام طاعة حزب من تلك الأحزاب أو طائفة أو أصحاب فرقة عوضاً عن الجماعة والإمام، والإمام عند متكلمي السنة: هو الرئيس المنتخب الذي تتوافر فيه شروط الإمامة التي عنوا بذكرها تفصيلاً في كتب العقائد والفقهاء.

وما صار يُعرف بكتب «السياسة الشرعية»، التي تُنسب إلى ابن قتيبة منها كتاب «الإمامة والسياسة»، ثم كتاب الماوردي «الأحكام السلطانية»، وكتاب أبي يعلى في «الأحكام السلطانية»، وكتاب ابن الأزرقي «طبائع الملك»، وكتاب ابن تيمية في «السياسة الشرعية» ونحو ذلك⁵.

⁴ الحديث أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سقّ سنة حسنة، رقم الحديث 1017.

⁵ أعد أخوانا وولدنا الأستاذ الدكتور نصر عارف دراسة قيمة استقرأ فيها ما هو متوافر من مخطوطات ومطبوعات في هذا المجال، وقد تجاوزت الدراسة ثلاثمائة مصدر، في حين أنّ الكاتبين في السياسة لم يرجعوا لأكثر من ثمانية عشر مرجعاً، وعمّموا أحكامهم في الفكر والنظريات السياسية والتاريخ الإسلامي، بمقتضاها ووفقاً لما ورد فيها. لمزيد من التفاصيل راجع: عارف، نصر محمد. في مصادر التراث السياسي الإسلامي، هيرندن: فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1994.

وقد اشتد الخلاف بين فقهاء الشيعة وفقهاء الجمهور حول ما إذا كانت «الإمامة» منصبًا دينيًا يرتبط بالنص لا باختيار الناس، أو هي منصب دينوي يخضع لإرادة الناس واختيارهم، ولكنّه يكتسب تمام شرعيّته من التزامه بالشرعية وتطبيقه لها.

وقد أضيفت «الجماعة» إلى المسلمين، فقول: «جماعة المسلمين»، وحين رأى سبط رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- الحسن بن علي -رضي الله عنه- الفرقة تعصف بالمسلمين، وأنّ تشبّث معاوية ابن أبي سفيان بالسلطة وتذرعه بالافتصاص من قتلة أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- لن يسمح بجمع كلمة الأمة اجتهد، وقرّر التنازل لمعاوية، على أن يُعيد معاوية الأمر إلى الأمة من بعده، فسُمي العام الذي تنازل فيه الحسن -رضي الله عنه- لمعاوية بذلك الشرط بـ«عام الجماعة»، حيث أصلح الله بموقف السبط -رضي الله عنه- بين الطائفتين، وعادت كلمة الأمة به إلى الاجتماع من جديد.

من كل ما تقدّم نستطيع أن نقرّر بثقة أنّ تعبير «أهل السنّة والجماعة» لم يكن متداولاً ولا معروفاً في القرون الخيرة الثلاثة، ولم يتحول إلى اسم علم على جماعة من المسلمين إلا في أواخر عهد الخليفة المتوكل، شأنه في ذلك شأن كثير من المصطلحات الطارئة لاحقاً عبر تاريخ الإسلام. ولم يكن استخدام هذا التعبير -قديمًا- يُشير إلى طائفة معيّنة من المسلمين؛ فالناظر في تراث المتقدمين لا يجد لهذا التعبير استخداماً في مداولاتهم وأدبياتهم الباقية، فكيف تم نحت وتطوير هذا المصطلح؟ وكيف تمت تعبئة هذا التعبير بالمعنى الذي أريد له؟ وكيف تم تكريس هذا المفهوم في إلزام الحجة ومساءلة الخارجين؟

* * * *

وأما الشيعة فهم طائفة من المسلمين بدأ تشكّلها في إطار رؤية لـ الخلفاء الأربعة الراشدين حيث كان بعض الصحابة يفضلون سيدنا علي «رضي الله عنه» على عثمان «رضي الله عنه» ويتمنون لو أن علي جاء بعد عمر مباشرة لصار أمر الإسلام إلى خير ولما وقعت الفتنة الكبرى ولا الانقسامات وظهور الطوائف والفرق، وهذا أمر اجتهادي لأن العرب تُعطي للسن في أمور الزعامة والقيادة أولوية لأن السن أمر منضبط بعدد السنين التي عاشها الإنسان في حين أن الحكمة والتعقل وحسن القيادة أوصاف ليس من السهل الوعي بضوابطها لذلك أقبل المبايعون آنذاك على تفضيل عثمان ومبايعته خاصة ولعثمان «رضي الله عنه» أيادي بيضاء يعرفها أهل مكة والمدينة فهو زوج ابنتين من بنات رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- وكرمه عليه الصلاة والسلام بلقب ذي النورين ووصفه بالحياء وهو من جهز جيش العسرة واشترى آبار المدينة وأوقفها على المسلمين إلى غير ذلك من أمور جعلته أقرب إلى الناخبين والمبايعين من سواهم وأقنع عبد الرحمن بن عوف الذي كان مسئول عن الاستفتاء لمبايعته وحدث ما حدث مما هو معروف ثم انتقل التشيع إلى مرحلة تفضيل علي «كرم الله وجهه» على الشيخين أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- ثم برزت فكرة توريث رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- للإمامة وأن أولى الناس بها هم آل بيته بدءًا بعلي وإنهاء ببقية الأئمة الاثني عشر من أهل بيته «رضوان الله عليهم جميعًا».

والقرآن المجيد قد وجه الأمة إلى أن تنظر إلى الماضي والماضيين وفق هذه الآية العظيمة في قوله (تعالى): ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مِمَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:134) ولو أن المسلمين بنوا وعيهم في هذا الموضوع على هذه الآية لما سقطوا في تلك الانقسامات حول رجال هم جميع بين يدي الله الآن ، لا يملك أين منهم الشفاعة إلا من بعد أن يأذن ويرضى الله عن ذلك. لكن المتقدمين قد أدخلوا مباحث الإمامة في أصول الدين وربطوا بينها وبين المعتقد والرؤية الكلية التوحيدية فكانت كارثة كبرى على الأمة أسست للتكفير على الاختلاف في

المذاهب والمواقف السياسية وأصلت ذلك في نفوس أبناء الأمة فتأسست أصول فقه وعلوم قرآن وتفسير وحديث ورجال بل أسس تاريخ ربط بهذه القضايا برباط يستعصي على كثير من وسائل التقريب بل إن كل وسائل التقريب هي أضعف من تلك الأسافين التي دُقت في تلك الوقت المبكر لتكرس لفرقة المسلمين وتجعلهم شيعًا وأحزابًا يسهل أن يوقع بعضهم ببعض ويغري بينهم العداوة والبغضاء ويصددهم عن السبيل؛ ولذلك صار هناك فقه طائفي وأصول فقه طائفي وعلوم تفسير وحديث وسواها كلها كانت تسعى إلى تكريس الاختلافات وتفريق كلمة المسلمين وتدمير الأواصر بينهم وإغراء بعضهم ببعض حتي فشيت فيهم عمليات التحالف مع الأعداء للإيقاع بالطائفة الأخرى وكلما طال على الناس الأمد وزاد قسوة القلوب زادت تلك المشاعر البغيضة واتسعت الفرقة ولكي لا أطيل على القراء و أرتب بقدر ما أستطيع من آثار ذكر الفوارق والاختلافات بين الطائفتين فقد اخترت للقراء للتعريف بأهم تلك الفوارق قصيدة ابن منير الطرابلسي المولود 437 توفي، 548 الذي أرسل بها إلى شيخ الطائفة الشيعية في بغداد الشريف المرتضى الذي عرف بأدبه وخلقه العالي وحرصه على وحدة الصف في بغداد بين السنة والشيعية فكان يخف لتهداً الخلافات بينهم ويجول بينهم وبين العنف والتحارب، وابن المنير هذا قد أهدى للشريف هدايا رغبة منه في الحصول على تقدير الشريف لتلك الهدايا، و قد أرسل تلك الهدايا مع غلام له كان يحبه جدًا ولا يصبر عن فراقه وكان الشريف يعرف شغف بن المنير بذلك الغلام، فبعث بخطاب شكر إلى ابن المنير يشكره ويقدر له هديته التي اشتملت على ما قدم وحاملها، وابقى الغلام تتر عنده فلما احس ابن المنير بذلك الخطر، خطر حرمانه من غلامه تتر كتب هذه القصيدة الرائعة التي يهدد الشريف فيها بالتنصل بالمذهب الشيعي والدخول في المذهب السني إذا استمر الشريف بالنظر الي الغلام تتر على إنه جزء من الهدية، والقصيدة تبين أهم الفوارق بين الطائفتين في تلك المرحلة من مراحل التاريخ الطائفي. وتعد من بحور الشعر المعروفة وهو بحر السهل الممتنع الذي هو أشبه بالرجز فيستسهله السامع أو القارئ ويظن أنه يستطيع أن يقول مثله لكنه حين يحاول يفاجئ أنه لن يستطيع أن يفعل ذلك . هذه القصيدة المعروفة بـ [التترية] ذكرها بطولها 106 بيتا ابن حجة الحموي في (ثمرات الأوراق) 2 ص

44 - 48، وذكر منها في كتابه [خزانة الأدب] 68 بيتا، وتوجد برمتها في تذكرة ابن العراق،
ومجالس المؤمنين ص 457، نقلا عن التذكرة.

ومطلع القصيدة يقول فيها ابن المنير الطرابلسي :

عذبت طرفي بالسهر * وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي * من بعد بعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنى * وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صبا ما له * عن حسن وجهك مصطبر
يا قلب: ويحك كم تخادع * بالغرور ؟ ! وكم تغر ؟!
وإلا م تكلف بالأغن * من الظباء وبالأغر ؟!

وقد انتقل ابن المنير وهو يهدد الشريف إلي ذكر أهم الفروق بين السنة والشيعية من خلال

الآيات التالية:

واليت آل أمية الطهر * الميامين الغرر
وجحدت بيعة (حيدر) * وعدلت عنه إلى عمر
وأكذب الراوي وأطعن * في ظهور المنتظر⁶
وإذا رووا خبر (الغدير)⁷ * أقول: ما صح الخبر

⁶أي المهدي المنتظر.

⁷حديث الغدير الذي يعتبره الشيعة دليل على توصية الرسول بأن يكون الخليفة من بعده هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولبست فيه من الملابس * ما اضمحل وما دثر
وإذا جرى ذكر الصحابة * بين قوم واشتهر
قلت: المقدم شيخ تيم * ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتول⁸ * عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى ولا * شق الكتاب ولا بقر⁹
وبكيت¹⁰ عثمان الشهيد * بكاء نسوان الحضير
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مص * حفه براءة والزمر¹¹
ورثيت طلحة والزبير * بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز * جر من لحاني أو عذر
وأقول أم المؤمنين * عقوقها إحدى الكبر¹²
ركبت على جمل لتص * بح من بنيتها في زمر

⁸ وهذه ما يتعلق بما ينسبه بعض الشيعة غلي سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه منع فاطمة الزهراء من إرثها في أرض فدك وأن سيدنا عمر رضي الله عنه دفعها (الزهراء) على باب وكانت حامل -حسب بعض الروايات الشيعية- بجنين اسمه المحسن وأجهضها.

⁹ يقصد بذلك نفي أنه قدمت له كتاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بان تكون فدك لها ولآل بيته.

¹⁰ أي بكيت على عثمان رضي الله عنه وعددته شهيد وهذا خلاف ما يقول جماهير الشيعة.

¹¹ وهو يهدد بذلك بمنح ولاءه لخصوم آل البيت والبراءة منهم.

¹² أم المؤمنين عائشة.

وأنت لتصلح بين جي * ش المسلمين على غرر

فأتى أبو حسن وسل * حسامه وسطا وكرّ

وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر

ما ضره لو كان كف * وعف عنهم إذ قدر

وأقول إن إمامكم ¹³ * ولى بصفين وفر

وأقول إن أخطأ معا * وية فما أخطأ القدر

هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر ¹⁴

بطل بسوءته يقا * تل لا بصارمة الذكر

والأشعري بما يئول * إليه أمرهما شعر

قال انصبوا لي منبراً * فأنا البرئ من الحظر

فعلا وقال خلعت صاحبكم * وأوجز واختصر

وجنيت من رطب النوا * صب ما تتمر واختمر ¹⁵

وأقول ذنب الخارج * ين على عليّ مغتفر

لا تائر بقتالهم * في النهر وان ولا أثر

¹³ أي علي رضي الله عنه ولى بصفين وفر.

¹⁴ يشير إلى قضية التحكيم.

¹⁵ أي يشرب النبيذ على مذهب أبي حنيفة.

وأقول أن يزيد ما * شرب الخمر ولا فجر
ولجيشه بالكف عن * أبناء فاطمة أمر
والشمر ما قتل الحسين * ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت في عشر المحرم * ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام أيام آخر
ولبست فيه أجل ثوب * للمواسم يدخر
وسهرت في طبخ الحبوب * من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلاً أصافح * من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق * أقص شارب من عبر
وأكلت جرجير البقول * بلحم جري الحفر
وجعلتها خير المآكل * والفواكه والخضر

وغسلت رجلي ظلماً¹⁶ * ومسحت خفي في السفر
أمين أجهر في الصلاة * بها كمن بها قبلي جهر
وأسن تسنيم القبور¹⁷ * لكل قبر يحتفر

¹⁶ ما لديهم مسح الخفين.

وإذا جرى ذكر الغدير * أقول ما صح الخبر

ولبست فيه من الملابس * ما اضمحل وما دثر

وسكنت جلق واقتديت * بهم وإن كانوا بقر

وأقول مثل مقالهم * بالفاشر يا قد فشر

مصطيحي¹⁸ مكسورة * وفطيرتي فيها قصر

بقر ترى برئيسهم * طيش الظليم إذا نفر

وخفيفهم مستقل * وصواب قولهم هذر

وطباعهم كجبالهم * خبثت وقدت من حجر

ما يدرك التشيب تغر * يد البلابل في السحر

وأقول في يوم تحار * له البصيرة والبصر

والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر

أقول: هذا الشريف أضلني * بعد الهداية والنظر

فيقال: خذ بيد الشريف * فمستقر كما سقر

لواحة تسطو فما * تبقي عليه وما تذر

والله يغفر للمسيئ * إذا تنصل واعتذر

¹⁷ الشيعة لا يسنموا.

¹⁸ مصطيحي: التربة التي يضعها الشيعة للسجود عليها لتحريم السجود على ما قطع من حي مثل السجاد والصوف وما إليه.

إلا لمن جحد الوصي * ولاءه ولمن كفر
فاخش الإله بسوء فعلك * واحتذر كل الحذر
وإليكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة ما افتخر
ودرى وأيقن أنني * بحر وألغازي درر
حبرتها فغدت كزهر * الروض باكره المطر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل في الحبر
وإلى الشريف بعثتها * لما قراها وابتهر
ردّ الغلام وما استمر ... على الجحود ولا أصر
وأثابي وجزيتته ... شكراً وقال لقصد صبر

هذه القصيدة هي طريفة في بابها وهي تلخص الفوارق بين السنة والشيعنة من أمور اعتقادية وفقهية وكلامية. فهل لنا أن نعود إلى كتاب ربنا فنقول كما في قوله (تعالى) : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:134)، ونعمل على بناء حاضرنا ومستقبلنا فلقد شغلنا بوقائع تاريخ لم نُسهم في صناعته ولم نسأل عنه يوم القيامة ولا يضرنا الجهل به ولا يشفع لنا عند الله العلم به والتعمق في الكلام عن آثاره فهل أنتم منتهون؟! .